التجارة في مصر في عهد
السلطان الناصر محمد بن قلاوون

إعداد

د/ حياة عبد القادر أحمد المرسي
باحث تاريخ إسلامى

الفهرس

الموضوع
١- المقدمة.
٢- نبذة تاريخية عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون.
٣- حالة مصر في عهد السلطان والمميزات التي تميزها في عهده.
٤- التجارة الداخلية والخارجية في مصر وأنواع المستور والمصدر.
٥- طرق التجارة – البري والبحري.
٦- الأسواق.
٧- الخانات (الفنادق).
٨- أنواع المعاملات التجارية النقد – الحولات – المقايضة – القروض.
٩- العملة – أنواع العملات المستعملة في مصر.
١٠- المكاييل والموازين.
١١- المكوس – الرسوم الجمركية – الضريبة – الجوازات.
١٢- فهرس المصادر والمراجع.
١٣- الفهرس.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

لقد شاءت الأقدار في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي أن تزدهر التجارة في مصر عن طريق البحرين الأحمر والأبيض وموانئ مصر واضمحلال الطرق التجارية الأخرى بين الشرق والغرب، وقد ساهم الممالك في تفعيل ذلك النشاط مساهمة فعالة، حيث أنهم سيطروا على الكثير من الطرق والموانئ التجارية، فاتجهت أنظار الغرب والشرق نحوهم، وكانت لهم اتصالات بملوك ورؤساء تلك الدول لتوطيد العلاقات التجارية وتقوية الروابط الاقتصادية معهم، خاصة في عهد السلطان الناصر بن محمد قلاوون الذي دعمَّ ذلك النشاط وآزره من أجل الصعود بمصر وباقتصادها إلى مصاف الدول التجارية، وبالفعل كان له ما أراد من هذا المنطلق تجرأت بالكتابة عن التجارية الداخلية والخارجة في مصر في عهد السلطان الملك الناصر بن محمد قلاوون.

وبالله التوفيق والسداد،،،

نبذة تاريخية عن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

نشأة السلطان محمد الناصر:

ولد السلطان محمد يوم السبت في منتصف المحرم ٦٨٤هـ/١٢٨٥م في مصر بقلعة الجبل[١]، وسُمي محمد حتى يُفضي عليه أنوار بركة هذا الاسم الشريف، وقد نُعت بالناصر لأنه نعت حسن التعريف، ولقد وردت البشرى بمولده إلى والده وهو يحارب الصليبيين بالقرب من دمشق أثناء محاصرته بحصن المرقب، فاستبشر الملك المنصور قلاوون بمولده[٢]. نشأ الناصر محمد في قلعة الجبل مقر السلاطين بالقاهرة محاطاً بالأمراء والنبلاء، وأرباب الدولة[٣]، واعتنى به والده السلطان منصور، وأنشأه على الأخلاق القويمة ورباه تربية سليمة، في تلك البيئة التي نشأ فيها الناصر كان لها أكبر الأثر على شخصيته وطباعه بعد ما كَبُرَ، استطاع من خلالها أن يمارس الحكم أكثر من ثلاثين عاماً[٤] أظهر فيها حُسن أخلاقه وصفاته الحسنة الكريمة[٥].

---

(١) بدر الدين العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم شلتوت، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٢١٠-٢١٢ ؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ج١، ص١٨٧ ؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا لبنان ١٩٨٧م، ج١٠، ص٤٥-٥٢ ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، جزءان، ج٢، ص٥٤.

(٢) ابن أيبك: الدر الفاخر فى سيرة الملك الظاهر – ص ٣٨٨، ابو القدا: المختصر فى اخبار البشر – ج٤ ص ٢١، المقريزى: السلوك – ج١ ص ٧٩٧

(٣) أبن تغرى بردى: النجوم الزاهرة – ج ٨ ص ١١٥ – ١١٦، ابن ايبك: كنز الدرر – ج٨ ص ٣٤٥. العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان – ج ٢٩ ص ١٥٣. المقريزى: السلوك – ج١ ص ٧٩٨

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى ج١٠ ص ٤٥، ابن ايبك كنز الدرر: ج٨ ص ٣٤٥ – النويري: نهاية الأرب – ج٢١ ص ٢٨٢

(٥) السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٥٥. ابن أيبك الدر: الفاخر في سيرة الملك الظاهر – ص ٣٨٧

صفاته:

لقد برزت شخصيته وهو ابن الخامسة والعشرين من عمره، وقد أرخى لحيته فإذا له هيبة يُحسُّ بها كل من يلقاه[١]، وكان له في الحديث طريقة يكاد ينفرد بها عن سواه مع هو في مثل مكانته ومركزه، إذ كان عف اللسان لا يفحش في القول سواء كان غاضباً أم منبسط الوجه، ينادي الناس بأحسن أسمائهم وأجل ألقابهم، ولا يؤاخذهم فيما يتورطون فيه من غير قصد، بل يقابل أعمالهم بصدر رحب ونفس سمحة[٢].

كان الناصر محمد بن قلاوون رزيناً غير متهور إذا غضب على أحد لا يظهر له ذلك بل يتروى في أمره ثم يعفو عنه أو يعاقبه فيما بعد، وكان لا يميل إلى الهذل في موضع الجد، فإذا خرج أحد على هذه القاعدة واستغل حلم الناصر غضب أشد الغضب، كان لا يميل إلى الزخرف في لباسه ويكتفي بما كان معتدلاً في قيمته[٣].

حالة مصر في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون:

يُعد السلطان الناصر محمد بن قلاوون هو المنشئ للدولة المملوكية ومؤسس أسرة مملوكية عريقة من المماليك البحرية ظلت تحكم مصر مدة مائة عام، إلى جانب الشام والحجاز واليمن[٤].

---

(١) بدر الدين العيني: السيف المهند – ص ٢١٢، المقريزى: السلوك – ج١ ص١٨٨

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة – ج٢ ص ٥٦، المقريزى: السلوك – ج١ ص١٨٨. ابن أيبك الداوداري: ركن الدين – بيبرس الدوادار المنصوري – زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة – الشركة المتحدة – لبنان بيروت – ١٩٩٨ م ص ٢٩٨ – ٢٩٩

(٣) العيني، بدر الدين العيني: عقد الجمان وتاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ج٢٩، ص١٥٢.

(٤) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبع بدار الكتب المصرية – القاهرة، ١٩٣٩هـ، ج١٦، ص٢٥٣ ؛ ابن أبيك الدواداري، عبد الله: الدر الفاخر في سيرة الملك الظاهر، نشر: هانس روبرت رويمر، القاهرة، سنة ١٩٦٠م، ص٣٨٨ ؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: =المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، سنة ١٢٧٠هـ، ج٢، ص٧٠ ؛ أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٩٢٥م، ج٢، ص١٣.

وهو أعظم شخصية مملوكية حكمت مصر بعد الظاهر بيبرس، ولم تكن عظمته في حكمه فقط، بل تجلى ذلك في كل مرافق الحياة في مصر، فله الفضل في صد الهجمة الثانية للمغول على المشرق الإسلامي، حيث خرج لملاقاتهم في حلب وذلك سنة ٦٧٩هـ عندما دخلوها وطردوا الكثير من أهلها، ولما سمعوا بخروج قلاوون فروا راجعين إلى بلادهم، لكنه التقى بهم في حمص وهزمهم هزيمة منكرة[١].

كذلك من أهم إنجازات السلطان محمد طرد الصليبيين من أقوى معاقلهم في الشام فقد استولى على اللاذقية سنة ٦٨٧هـ ثم طرابلس سنة ٦٨٨هـ[٢].

هذا ويُعد عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون من أزهى عصور الدولة المملوكية، حيث بسطت نفوذها على الحجاز واليمن، كما عقد معاهدات مع ملوك أوروبا وآسيا وأفريقيا، وأحدث تطويراً في نظام الحكم، فزاد من وظائف الدواوين وحدد الاختصاصات[٣].

إضافة إلى ذلك كان السلطان يرى أن تعزيز كيان دولة المماليك في مصر ونجاح سياستهم الداخلية والخارجية لا يتم تحقيقها إلا بالعمل على تنمية موارد الثروة الاقتصادية[٤]، فبذل قصارى جهده في هذا السبيل حتى عمَّ الرخاء في البلاد وتوفر المال لدى الخزانة المملوكة.

---

(١) أبن تغرى بردى: النجوم الزاهرة – ج ١٦ ص ٢٥٤، المقريزى: خطط – ج٢ ص٧٠، ابو الفداء: المختصر ج٢ ص ١٤، أبن أيبك: زبدة الفكرة – ص ٢٩٩

(٢) ابن ايبك كنز الدرر: ص ١٦٢، المقريزى: السلوك – ج٢ ص ٥٥، محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر– ص٥٢

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور – ج١ ص٤٢٦، المقريزى: خطط – ج٢ ص ٢٠٦،) أبن تغرى بردى: النجوم الزاهرة – ج٨ ص٢٧٤، أبن أيبك: زبدة الفكرة – ص ٢٩٩

(٤) المقريزي: إغاثة الأمة – ص٣٦ – ٤٠، سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام – ص٢٧٥، عزيز سوريال عطية: تاريخ المماليك – الطبعة الثالثة – القاهرة – ص٨٨ وما بعدها

وقد ركز السلطان محمد بن قلاوون على كل مصادر الثروة في البلاد إلا أنه أولى عناية خاصة بالتجارة التي كانت تمثل عصب الحياة في مصر سواء الداخلية أو الخارجية، وذلك بتسهيل كل السبل لها فنشطت في أيامه الحركة التجارية بمصر وكان لها الـ بق في الدول سواء العربية أو الأوروبية.

التجارة الداخلية بمصر:

لقد نشطت التجارة الداخلية في مصر وأصبحت القاهرة مركزاً رئيسياً للتبادل التجاري بين الشرق والغرب، وازدهر اقتصاد الدولة بالتجارة.

ويُعد العصر المملوكي العصر الذهبي للنشاط التجاري وأصبح اقتصاد مصر يقوم بالدرجة الأولى على التجارة[١]. وكما أولى المماليك التجارة عنايتهم فقد أسهم كبار التجار بدورهم في بناء المجتمع المصري في عصر المماليك، وكون التجار طبقة ممتازة أهلهم لها ثراؤهم فأخذوا يمدون خزينة الدولة بالأموال وخاصة في الشدائد والحروب والأزمات[٢].

وكانت مدينة القاهرة عامرة بالأسواق كما كثرت بها الحوانيت التي تمتد على طول بعض شوارعها من الجانبين وتموج بالتجار والأهالي الذين يفدون إليها لقضاء جميع ما يلزمهم من حاجيات المعيشة، وليس أدل على ذلك مما أورده المقريزي[٣] عن الحركة التجارية في الطريق الممتد من الحسينية إلى المشهد النفسي فقال: " أدركت هذه المسافة بأسرها عامرة بالحوانيت خاصة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة، تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئتها ويعجز العاد عن إحصاء ما فيها من الأنواع فضلاً عن إحصاء ما فيها من

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى ج١٢ص٣٤٠، ابن الأخوة: معالم القربة ص٨، سعيد عاشور: الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ص٢١٤- ٢١٥

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى ج٤ص٣٢، المقريزي: السلوك – ج٢ ص١٠٢، محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر- ص٣٢٨

(٣) انظر المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٥ ؛ محمد سهيل طقرش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفاش للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص٢٨٧١-٢٨٨.

الأشخاص، وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بمصر سائر البلاد، ويقولون يرمى بمصر كل يوم ألف دينار ذهباً على الكيمان والمزابل يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التي يوضع فيها اللبن والتي يوضع فيها الجبن، والتي يأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين وما يستعمله بياعوا الجبن من الخيط والحصر... وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق القوي، والخيوط التي تشد بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والأقاوية وغيرها، فإن هذه الأصناف المذكورة إذا حملت من الأسواق وأخذ ما فيها ألقيت في المزابل..".

كذلك وصف المقريزي[١] وكالة قوصون التي شاهدها بنفسه فقال: " إن رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش لكثرة ما هنالك من أصناف في البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها ".

وأهم ما في هذه الأسواق أن كل سوق فيها اختص بنوع معين من البضائع ذات الطابع الخاص والمميز فهناك سوق الشماعين والفرارين والنحاسين[٢]، وهكذا ومن محاسن هذا النظام أن التاجر لا يستطيع أن يشذ عن جيرانه يرفع أسعار السلعة التي يتجر فيها، لأن منافسيه على مقربة منه، كما أن المشتري إذا لم يعجبه نوع السلعة أو ثمنها فإنه يستطيع أن ينتقل بسهولة من متجر لآخر دون تحمل أدنى مشقة[٣].

أما عيوب هذا النظام، فأهمها أن الفرد إذا أراد شراء عدة أصناف متباينة من البضائع، فعليه أن يقطع المدينة كلها طولاً وعرضاً حتى يقضي حاجاته ؛ لأنه لن يجد في

---

(١) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٣ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٤٢-٥٥ ؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص٢٩٦-٢٩٧ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط١، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م، ص٣١٢ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ص٣٠٨.

(٢) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٢، جمال سرور - دولة بني قلاوون في مصر- ص٣٢٢، محمد سهيل طقوس - تاريخ المماليك - ص٢٩٧

(٣) سعيدعبد الفتاح عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص٣٠٩

السوق الواحد سوى نوع واحد من البضائع[١].

أما المواد الغذائية فقد وجدت لها أسواقاً قائمة بذاتها منها بالقاهرة باب الفتوح وسوق بين القصرين وباب الزهومة، وكلها اشتهرت في عهد السلطان محمد بن قلاوون بكثرة العروض فهناك اللحوم والخضروات والزيوت والألبان فضلاً عن اكتظاظها بجمهور المشترين[٢].

أما الفواكه فكان لها سوق خاص بها باب زويلة، عرف هذا السوق بدار التفاح، كانت تحمل إليه ثمار البساتين المحيطة بالقاهرة، حيث يتفنن الباعة في عرضها ويتأنقون في تنفيذها واحتفافها بالرياحين والأزهار[٣].

ولم يترك سلاطين المماليك حركة البيع والشراء في الأسواق دون رقيب أو حسيب إنما عهدوا إلى المحتسبين بالطواف ليلاً ونهاراً للتفتيش على الباعة وضبط من يحاول التلاعب في الأسعار أو الأوزان أو أصناف البضاعة[٤].

وكان بمصر فريق من التجار يعرفون بتجار الكارمية[٥] بيدهم تجارة البهار من الفلفل والقرنفل والهيل ونحوها، ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية أطلقت عليهم نسبة إلى القانم وهم فرقة من السودان أقامت طائفة منهم بمصر واشتغلت بتجارة البهار.

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣٠٩ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٦ ؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص٢٠٤-٢٠٨.

(٢) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٦ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٣) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٣ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٧.

(٤) انظر المحتسب وعمله في الأسواق، ص٢٩ من هذا البحث.

(٥) التجار الكارمية: هم فرقة من التجار السودانيين أقامت في مصر واشتغلت بتجارة البهار. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣١.

وقد جنى تجار الكارم من وراء اشتغالهم بالتجارة أموالاً كثيرة حتى قال عنهم المقريزي: " أنهم في عدة وافرة ولهم أموال عظيمة "[١].

وليس أدل على ازدياد ثروتهم من المبالغ التي كانوا يقرضونها لحكومة المماليك في مصر لسد نفقات حروبها وخاصة في عصر الناصر محمد بن قلاوون.

ويذكر المقريزي فيقول[٢]: " أن المغول لما أوقعوا الهزيمة بالمماليك سنة ٦٩٩هـ، وأصبحت الدولة المصرية في حاجة إلى المال، طلب ناصر الدين بن محمد الشيخي والي القاهرة من تجار الكارم وأعيان التجار مالاً على سبيل القرض ".

وكان لتجار الكارم دور في التوسط لدى التجار الغير مصريين لما لهم من مكانة اقتصادية مرموقة في الدولة، يقول المقريزي[٣]: " أنه لما قدم بعض التجار الدماشقة إلى القاهرة سنة ٦٨٧هـ وألزموا بدفع بعض المبالغ، اعتذروا عن أدائها بأن أموالهم في دمشق، وسألوا الأمير سلم الدين سنجر الشجاعي - الذي كان يلي وزارة المالية آنذاك - أن يفرض عليهم ما يرسلونه إليه عند عودتهم إلى دمشق، لكنه خشي ألا يفوا بوعودهم إذا ما عادوا إلى بلدهم، ومن ثمّ استدعى تجار الكارم بمصر وأمرهم أن يقرضوا الدماشقة بعض المال فلبوا طلبه وكتب على الدماشقة مساطير بما اقترضوه من هؤلاء التجار. ولما عادوا إلى بلدهم لم يجدوا بُداً من رد ما أخذوه من تجار الكارم.

---

(١) المقريزي: خطط، ج١، ص٨٨ ؛ ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي: كتاب تاريخ مصر المعروف ببدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص٤٥ ؛ قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عهد المماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م، ص٣٥-٣٧ ؛ الكارمية وتجار الكارم في عصر المماليك، مجلة الفكر العربي، عدد ٥٤، كانون الأول، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) أبي إياس: بدائع الزهور ومواقع الدهور، ج٢، ص٤٤ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢ ؛ قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري، ص٣٧ ؛ زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتضاريس الإسلامية، ص٣١٩

(٣) المقريزي: السلوك، ج١، ص٧٣٩ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢ ؛ محمد سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٨ ؛ زكي حسن: فنون الإسلام، ص٣١٩.

هذا وقد حرصت حكومة المماليك في مصر من استخراج المعادن من الأراضى المصرية كالشب والنطرون، واحتكر تجارتها الديوان السلطاني[١].

وكان معدن الشب الذي يرد من الصعيد والواحات يصدر من ساحل أخميم وأسيوط والبنها إلى الإسكندرية على المراكب النيلية[٢]، حيث يباع منه لتجار الروم نحو اثني عشر قنطار بسعر يتراوح بين أربعة دنانير إلى ستة لكل قنطار ويباع هنا المعدن أيضاً بمصر للبوديين والصباغين نحو الثمانين قنطاراً سعر القنطار ستة دنانير ونصف[٣].

أما النطرون الذي يستخرج من الطرانة والفاقوسية على مقربة من الخطارة، فثمن القنطار بمصر والإسكندرية سبعون درهماً[٤].

التجارة الخارجية في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون:

بعد أن تعرضنا لتجارة مصر الداخلية، وجب علينا التعرف على التجارة الخارجية مع الدول المجاورة حتى تكتمل منظومة عملية الاقتصاد في الدولة، وإذا نظرنا إلى التجارة الخارجية نجد أن سلاطين المماليك لم يجدوا صعوبة في استيراد البضائع من الخارج، وذلك لوقوع كثير من الموانى وطرق القوافل تحت سيطرتهم[٥]، وقد سهل ذلك نقل المحصولات من بلده إلى أخرى، وتزويد الأسواق المصرية بالمناجر والخامات الصناعية المحلية والخارجية، بفضل نهر النيل خاصة أن الجزء الصالح للملاحة كان ينتهي عند حدود مصر جنوباً. لذلك كثرة عملية النقل النهري، وصارت السفن تجتازه محملة بالضائع والمحصولات

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى ج٣ص٤٥٥، المقريزي: خطط، ج١، ص١٠٩، ابن إياس: بدائع الزهور – ج٢ ص٤٥

(٢) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون – ص٢٢٩، زكي حسن: فنون الاسلام ص ٣٢٠

(٣) ابن إياس: بدائع – ج٢ ص٤٦، المقريزي: خطط، ج١، ص١١٠

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٥ ؛ المقريزي: خطط، ج١، ص١٠٩ ؛ أبن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي: معالم القربة في أخبار الحسبة، نشر ليفي كمبردج، سنة ١٩٣٧م، ص٨ ؛ السخاوي. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: التبر المسبوك في ذيل السلوك، مصر، بولاق، ١٣١٥هـ، ص٢٦٠-٢٦٣.

(٥) ابن الأخوة – معالم القربة – ص٩، السخاوي – التبر المسبوك – ص٢٦٣

بين أسواق الإسكندرية[١].

وكان تجار النوبة يأتون إلى النيل حتى الجنادل، وعندها تقف مراكبهم ومراكب السودان، ويتحول من فيها بتجارتهم إلى ظهور الجمال حتى يصلوا إلى أسواق أسوان التي كانت مركزاً هاماً للتجارة، فهي أيضاً تحمل البضائع والمنتجات المصرية إلى النوبة[٢].

وكانت منتجات الشرق[٣] ترد إلى مصر من الصين والهند واليمن والخليج الفارسي. ومن أهم منتجات الشرق الأقصى الفلفل والزنجبيل والبخور وأنواع العطور المختلفة كالعود والعنبر والصندل، والخزف والقيشاني الصيني والزمرد واللؤلؤ من الخليج الفارسي[٤]

(الخليج العربي حالياً) ومن اليمن البن والبهارات ومن الهند بالإضافة إلى البهارات والعطور والزمرد اشتهرت بتصدير الأقمشة إلى الأسواق المصرية خاصة الحريرية التي تميزت بها الهند عن جميع أقطار الأرض[٥].

ومما يؤيد أن الهند كانت تصدر الأقمشة الحريرية إلى مصر ما ذكره المقريزي يقول عن محمد بن تغلق سلطان الهندوستان بقوله: " وللسلطان محمد تغلق دار طراز فيها أربعة آلاف قزاز لعمل أنواع القماش سوى ما يحمل إلى الصين والعراق والإسكندرية، ويفرق كل سنة مائتي ألف كسوة كاملة، وكلها حرير من عمل الطراز بدهلي".

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٠٠، محمد سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٤ – سعيد عاشور – عصر سلاطين المماليك ص٣٩١

(٢) المقريزي: خطط، ج١، ص١٩٧ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص١-٢٤ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٤٠ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٢٩٠ ؛ سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص٣١٤-٣١٥ ؛ محمد سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٣٤

(٣) البلوي المغربي: رحلته المسماه تاج المفرق في تحلية تجار المشرق، ص١٠٤

(٤) المقريزي: خطط، ج١، ص٢٢٤، سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص٣١٥

(٥) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن: تاريخ الدول والملوك، نشر قسطنطين رزيق، ونجلاء عز الدين، بيروت، ط٧، ١٩٤٢م، ج٧، ص١٩٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٤٠-٣٤١ ؛ المقريزي: خطط، ج٢، ص١٠٥.

وكانت مدينة الإسكندرية من أكبر المراكز التجارية في عهد المماليك، لتصدير منتجات الشرق الأقصى.

وكان بمصر فريق من التجار يعرفون بتجار الكارم بيدهم تجارة البهار من الفلفل والقرنفل والزنجبيل ونحوهما[١].

وقد جنى تجار الكارم من وراء التبادل التجاري مع الأقطار الشرقية ثروة ضخمة يقول المقريزي[٢]: " أن ناصر الدين محمد بن مسلم الكارمي المصري، رزق الحظ الوافر في التجارة، وفي العبيد، فكان يبعث أحدهم بمال عظيم إلى الهند، ويبعث آخر بمثل ذلك إلى بلاد التكرور[٣]، ويبعث آخر إلى بلاد الحبشة ويبعث عدة آخرين إلى عدة جهات من الأرض، فما منهم يعود إلا وقد تضاعفت فوائد أمواله أضعافاً مضاعفة ".

كذلك اهتم سلاطين المماليك بتشجيع التجارة مع الشرق فسهلوا على التجار سُبل السفر إلى بلاد التكرور والحبشة واليمن والهند.

ومما هو جدير بالذكر أن بلاد التكرور ارتبطت بعلاقات الود والصداقة مع مصر وكان ملوكها ينزلون بالقاهرة وهم في طريقهم إلى بلاد الحجاز، وقد احتفى السلطان الناصر بقدوم منسا موسى ملك بلاد التكرور سنة ٧٢٤هـ وتبادل معه الهدايا "[٤].

---

(١) انظر ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٥ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣١ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ص١٠٣.

(٢) المقريزي: السلوك، ج١، ص٦٤٩ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٨١ ؛ بيبرس الدواداري المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، جمعية المستشرقين الألمانية، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، سنة ١٩١٨م، ج٩، ص١٤٢.

(٣) بلاد التكرور: هي إحدى الأقاليم الأفريقية الواقعة في الجهة الجنوبية القريبة من مصر وقاعدتها مدينة تكرور. انظر ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي: معجم البلدان، ١٢ جزء، القاهرة، ١٩٠٦م، ج٥، ص٢٨٦ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢٩٤.

(٤) شوقي حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك، ص١٠٣. ذكر ان كثر التكرور فى مصر حتى أن منية بولاق عرفت ببولاق التكرور نسبة الي أحد الصلحاء وهو الشيخ ابو يوسف عبدالله الكروري

وكان لذلك أعمق الأثر في توثيق العلاقة بين دولتيهما، وأصبح التجار المصريون يترددون على تلك البلاد لشراء منتجاتها خاصة ناب الفيل[١].

كما أن أهالي بلاد التكرور كانوا يفيدون إلى مصر منذ عصر الظاهر بيبرس وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون[٢].

واتخذ بعضهم هذه البلاد داراً لإقامته ولقوا من كبار رجالات الدولة رعاية خاصة[٣].

وكان لانتشار نفوذ مصر في بلاد اليمن في عهد السلطان الناصر بن قلاوون أثر كبير في تسهيل سُبل تجارتها مع الأقطار الشرقية، فصارت تصل إليها السفن محملة بمنتجات الشرق دون أن تعترضها أي صعوبة أثناء مرورها بثغور اليمن[٤].

كذلك من أثر ذيوع صيت دولة المماليك وقوتها في الشرق، وعدم خوف تجار الدولة على تجارتهم، تنافس أمراء بعض الدول الشرقية على كسب صداقة سلاطينها ليتبادلوا معهم التجارة وذلك لما وجدوه من حُسن المعاملة وصدق التعامل سواء في التجارة أو غيرها من صنوف المعاملات[٥].

وأدل مثلاً على ذلك ما حدث بين ملك اليمن المظفر يوسف، وملك سيلان (ابونكبا)[٦] فقد أرسل الملك الأول للملك الثاني يعرض عليه حلفاً تجارياً ولكن ملك

---

(١) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك – ج٧ ص ١٩٧، ابن الأخوة: معالم القربة – ص٨، ابن خلدون: العبر – ج٦ ص١٠٢

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢٩٣، المقريزي: خطط، ج٢، ص٤٠١، أبن تغرى بردى – النجوم الزاهرة – ج ٥ ص ٢٨١

(٣) بيبرس الدوادار المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة – ج٩ ص١٤٢، المقريزي: السلوك، ج١، ص٦٤٩

(٤) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون – ص٣٣٨، ٢٠–قاسم عبده قاسم الأيوبيين المماليك – ص١٩٥

(٥) شوقي حبيب: التجارة فى مصر وافريقيا – ص ١٠٤، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون – ص ٣٣٨

(٦) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٥، ص١٤٣ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٧١٣ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣٠٣.

سيلان فضل المحالفة مع حكومة المماليك في مصر، لذلك عمد إلى إرسال سفارته إلى السلطان الناصر بن محمد بن قلاوون سنة ٦٨٢هـ.

وقد أبحر رسله من سيلان إلى مصر عن طريق الخليج الفارسي فالعراق والشام بناء على أمر ملكهم، حتى لا يضطرون إلى المرور ببلاد اليمن[١].

وكان مع رسل ملك سيلان كتاب، ذكر فيه تخليه عن صحبة ملك اليمن، وتعلقه بمحبة السلطان[٢]، ورغبته في أن يتبادل التجارة مع جزيرته الغنية وبين فيما أورده في كتابه ما يملكه من السفن وما تنتجه جزيرته من المحصولات وما يصنع بها من المنسوجات، وما يستخرج منها من اللؤلؤ والأحجار الثمينة، وبين فوق ذلك أن المصريين سيجدون في جزيرة سيلان حاجتهم مما كان يستورد من بلاد الهند، وطلب من السلطان أن يعين له مندوباً بعدن ويبعث إليه برسول من قبله.

وقد استجاب السلطان لرغبة ملك سيلان وأكرم وفادة سفرائه، وأجزل لهم العطايا وأنفذ معهم رداً على كتابه.

هذا وقد كان لتجار الكارم مراسلات بين عدن والهند، ويقوم عدد كبير منهم برحلات في بلاد العرب وأقطار الشرق الأقصى خاصة سيلان والصين لزيارة متاجرهم، وشركاتهم التي تمتلك عدداً كبيراً من السفن[٣].

ولم تكن تجارة الكارم مقصورة على البهار والعطارة، بل ساهموا أيضاً في تجارة الغلال والحبوب خاصة الفول وكذلك الكافور وخشب العود والصندل وجوز الهند وجوز

---

(١) محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٣٨.

(٢) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٤٣ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٧١٣

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧ ؛ المقريزي – السلوك – ج٢ ص١٠٣، بيبرس الدوادار المنصوري – زبدة الفكرة– ج٩ ص١٩١، محمد جمال الدين سرور – دولة بني قلاوون – ص٣٢٨

الطيب والقصدير[١].

يقول الدكتور سعيد عاشور[٢]: " إن تلك الطائفة من التجار لم يقتصر نشاطها على محاصيل بلادهم فحسب بل امتد ذلك النشاط إلى بهارات اليمن والهند والصين، حتى أصبح اسم الكارمية يطلق على كل من اشتغل بتجارة الفلفل والبهار، وقد اتخذوا مدينة قوص مركزاً لنشاطهم الواسع، فغدت تلك المدينة الهامة في الصعيد المصري سوقاً واسعاً لمنتجات أفريقية الوسطى واليمن والهند والحبشة التي يعتمدون عليها في تجارة ناب الفيل لكثرته بها.

وفي قوص كوَّن تجار الكارمية نقابة لأنفسهم احتكرت تجارة التوابل والبخور والعاج. وصار لهذه النقابة رئيس معترف به من قبل حكومة المماليك، أطلق عليه اسم رئيس الكارمية[٣].

التبادل التجاري مع الدول الأوروبية:

لم تقتصر التجارة الخارجية في مصر على الشرق والشرق الأقصى بل أيضاً امتدت إلى الدول الأوروبية، وقد بذل سلاطين المماليك في هذا السبيل قصارى اهتمامهم حتى يتمكنوا من توثيق العلاقات التجارية بتلك الدول. فقد عقد السلطان الظاهر بيبرس المعاهدات التجارية مع شارل صاحب أنجو، وألفونس أمير آشبيلية[٤] وجيمس ملك

---

(١) أدم ميز: الحضارة الاسلامية – ج٢ ص ٢٧١، المقريزي: خطط، ج١، ص٢٠٢

(٢) سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣٠٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤ أجزاء، الهند سنة ١٩٢٩م، ج٢، ص٢٨٢ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص١٠٣ ؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، صور شمسية بدار الكتب الملكية بالقاهرة، ج٣، ص٩٢.

(٤) المقريزي: السلوك، ج١، ص٧١٢ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٤٣ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون. ص٣٢٩

أرجونة[١].

وقد حذا السلطان الناصر محمد بن قلاوون حذو بيبرس، فعقد معاهدات مع جنوه ومنح البنادقة عدة امتيازات سهلت عليهم سبيل المتاجرة مع مصر، وتعهد لهم بحماية رعاياهم وأموالهم[٢].

وكان من أثر نشاط الحركة التجارية بين مصر من ناحية، والبندقية وجنوه وبيزا من ناحية أخرى، أن أصبح لهذه الجمهوريات قناصل في دمياط، ووافق الناصر محمد على تعين سفير للبندقية في الإسكندرية[٣].

على أن تجارة البنادقة مع مصر ما لبث أن اعترضها ذلك القرار الذي أصدره السيناتور بين سنتي ١٣١٣م-١٣١٧م والذي يقضي بمنع تصدير البضائع إلى مصر، وكان ذلك القرار قد جعل رئيس البنادقة يتوسط لدى البابا سنة ١٣١٧م ليحصل على ترخيص لمواطنيه بتصدير الذهب والفضة والقصدير والنحاس والجوخ والزعفران، وغير ذلك من البضائع الأوروبية التي تحتاجها مصر[٤].

هذا وقد رأى البابوات أمام ضغط التجار الأوروبيين أن يخفضوا من قراراتهم وعينوا المواد التي يمنع تصديرها إلى مصر كالخشب والحديد والقار والكبريت التي يحتمل استخدامها في صناعة الآلات الحربية وتجهيز العسكر المصريين ضد أي اعتداء أوربي[٥].

---

(١) النويري: نهاية الادب ج٣ ص٩٤. بيبرس منصوري: زبدة الفكرة – ج٩ ص٢٤٣، القلقشندى:صبح الأعشى ج١٣ص٢٤٠

(٢) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة – ج٢ ص٢٨٣. سعيد عاشور: العصر المماليكي – ص٢٩١

(٣) ستانلي لين بول: تاريخ مصر في القرون الوسطى – ص٢٨١، سعيد عاشور: العصر المماليكي: ص٣٠٦. محمد جمال سرور – دولة بني قلاوون – ص ٣٣٩

(٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية جزءان، القاهرة، ١٩١٣م، ج٢، ص٢٠٣ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣٠٦ ؛ شوقي عبد القوي عثمان حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك، ص١٠٣-١٠٤

(٥) سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج٢ ص٢٠٤، أبي إياس – بدائع الزهور ومواقع الدهور، ج٢، ص٨٣ ؛ أبن تغرى بردى – النجوم الزاهرة – ج ١٦ ص ٩٨، قاسم عبده قاسم – الأيوبيين المماليك – ص١٨٣ – ١٨٤

كذلك منع بعض أنواع التجارة التي لها أهميتها الغذائية كالقمح والنبيذ والزيوت فضلاً عن الرقيق الأبيض الذي اعتمد عليه نظام المماليك[١].

لكن هذه السياسة التي رسمتها البابوية لم تلق نجاحاً بل شجعت الدول الأوروبية على ربط أواصر الصداقة مع الحكومة المصرية، وتسعى إلى عقد معاهدات تجارية تعود عليهم بكثير من المزايا[٢].

لذلك عهدت حكومة البندقية للسفير نيكولا زينوا بمفاوضة الحكومة المصرية للحصول على امتيازات جديدة لمواطنيهم، ولبت الحكومة طلبه ورحبت بكل من يفد من تجار البندقية[٣].

كذلك عندما زار السفير أنقولا سيري مصر، تسلم عند عودته كتاباً جددت فيه الحكومة المصرية الترحيب بتجار البندقية، كما أذنت لحكومتها بأنفاذ قناصلها إلى الإسكندرية وغيرها من البلاد الخاضعة لمصر[٤].

أما بالنسبة لأرجوانه فقد كانت من الدول الأوروبية التي فضلت التعامل التجاري مع مصر رغم ما أصدره البابا كلمنت من منشورات مختلفة أشار فيها إلى منع تصدير البضائع إلى مصر ومن يخالف ذلك القرار يتعرض لمصادرة أمواله وفقد حريته[٥].

لكن رغم ذلك فقد أرسل جيمس ملك أرجوانة كثير من السفراء إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون لتوطيد عُرى الصداقة بينهما[٦].

---

(١) ابن أيبك الداوداري: الدر الفاخر – ص١٥٥– ١٥٦، أبي إياس: بدائع – ج٢، ص٨٤

(٢) سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣٠٦، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون – ص ٣٤٢

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٤١، ستانلي – تاريخ مصر ص٢٨١

(٤) أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية– ص ٢٤٨، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون – ص ٣٤٥

(٥) ستانلي لين بول: تاريخ مصر ص٢٨١،، ابن ايبك: كنز الدرر– ج٨ ص ٣٠٨– ٣١٠، النويري: نهاية الادب ج٢١ ص١٩٧

(٦) العيني: عقد الجمان –ج٣ ص٥٦– ٦٥، المقريزى – السلوك – ج١ ص ٧٦٣

وتخلى عن فكرة حرب صليبية ضد مصر ومنع المتاجرة مع المسلمين[١]، كذلك في السنة الأخيرة من حكمه أوقف مطاردة أهالي برشلونة الذين اتهمهم بتصدير البضائع لمصر، واكتفى بتغريمه مبلغاً من المال، وظلت برشلونة محتفظة بقنصليتها في الإسكندرية ولم تستتبع رعاياها فيها[٢].

أما مدينة جنوه فكان موقفها من التبادل التجاري مع دولة المماليك واضح وصريح فهو لم يختلف عن موقف أرجونة والبندقية، حيث نظر إلى مسألة تحريم التجارة مع المسلمين[٣] نظرة ازدراء وظلت على تواصل مع مصر لإنماء علاقتها التجارية والسياسية.

وكانت حكومة المماليك تعمل على استمالة التجار الأوروبيين إلى مصر وذلك بتوفير كل سبل الراحة للتاجر من الأمن والأمان والإقامة المريحة، لأن ذلك يعود عليها بالنفع من وراء متاجرهم كالخشب الذي يستخدم

في بناء الأساطيل الحربية والسفن التي تنقل الجنود والبضائع والمراكب النيلية التي عادة ما تكون مراكب تجارية وسياسية، أو الجوخ والفراء الذي يستخدم بصفة خاصة في صنع خلع كبار الموظفين[٤].

ومما يدل على حرص المماليك حماية التجار الأوروبيين من أي اعتداء ورعايتهم وتوفير الأمن لهم.

---

(١) النويري: نهاية الادب ج٣ ص١٧٨، محمود محمد الحريرى: مصر في العصور الوسطى – ص٢٨٨، سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣٠١

(٢) أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية– ص ٢٤٩، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون – ص ٣٤١

(٣) بعد أن سقطت عكا في أيدي المماليك قويت رغبة البابا في الانتقام من المصريين وإثارة الروح الصليبية ضدهم ومنع تصدير المواد التي تستخدم في الحرب كالحديد والخشب، كذلك أصدر البابا نيقولا ويونيقاس الثامن وبنوت الحادي عشر قراراً حرموا فيه المتاجرة مع المسلمين بهذه المواد. انظر جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٤٠ ؛ أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، ط١، مصر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٤٨.

(٤) البلوي المغربي: تاج المفرق – ص١٠٥، محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي – ج٧ ص١٧

ما ذكره النويري[١]: " أن فريقا من العامة أجتمع في رجب ٧٢٧هـ في حلقة قاص – وكان ممن حضر لمشاهدتها أحد أتباع رسل إمبراطور الدولة البيزنطية – ولما أخذ القاص في ذكر النبي ﷺ رفع المسلمون أصواتهم بالصلاة عليه غير أن الفرنجي لم يتبعهم في ذلك. وأخرجوه من الحلقة، لكن أحد موظفي ولاية الإسكندرية دافع عنه، وقال هذا من أتباع الرسل الذين وصلوا إلى السلطان ". فاستاء العامة من الفرنجي وضربوه، وقامت الفتنة بين العامة والفرنجة.

وطلب السلطان الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي للتحقيق معه، ولما وقف على الحقيقة أثار على السلطان بإهانة القاضي عماد الدين الكندي وعزله بتهمة تحريض العامة على قتال الفرنجة وزجه في السجن هو وحاكم المدينة لتهاونهما في المحافظة على الأمن والنظام، والذي تسبب في حدوث الفتنة[٢].

ومما يدل على حرص المماليك على سلامة التجار والترحيب بهم سواء تجار الشرق الأقصى أو التجار الأوروبيين، أنهم فرقوا بين الدين والتجارة، وقدموا كافة التسهيلات للتجار الغربيين والشرقيين، وترتب على ذلك كثرة عدد القادمين إلى مصر ودمياط والإسكندرية. وقد ذكر البلوي المغربي[٣] في رحلته أنه رأى بمصر أناساً كثيرين من مختلف الأجناس. بل إن بعض الباحثين الأوروبيين قدروا عدد الأجانب في الإسكندرية وحدها في أوائل القرن الرابع عشر بحوالي ثلاثة آلاف تاجر أوروبي ومن الملاحظ أن هؤلاء التجار الأوروبيين فضلوا الإقامة بالمدن التجارية والثغور على شاطئ البحر الطرق التجارية:

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٧٨ ؛ أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية، ص٢٤٨ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٤٥.

(٢) النويري: نهاية الادب ج٢١ ص٢٨، محمود محمد الحريرى: مصر في العصور الوسطى – ص٢٨٩، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون – ص ٣٤٦

(٣) البلوي المغربي: رحلته المسماة تاج المفرق في تحلية تجار المشرق، ورقة ١٠٤ ؛ سعيد عاشور: العصر المملوكي. ص٣٠١ ؛ محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي في العهد المملوكي، ج٧. ص١٥ –١٧ ؛ محمود محمد الحريري: مصر في العصور الوسطى، ص٢٨٧–٢٨٨.

بطبيعة الحال إن البضائع التي كانت ترد إلى مصر من أفريقيا والشرق الأقصى ومن الدول الأوروبية، ومن ثم تصل إلى الأسواق كان لابد لها من وسائل نقل لنقلها. لذلك نجد أن سلاطين المماليك لم يجدوا صعوبة كبيرة في استيراد البضائع من الخارج وذلك بسبب وقوع كثير من الموانى وطرق القوافل تحت سيطرتهم ؛ لأن الجزء الأكبر الذي يصلح للملاحة ينتهي عند حدود مصر جنوباً[١]. ومن ثم كثرت حركة النقل النهري بسبب نهر النيل وصارت السفن تجتازه محملة بالبضائع والمحصولات بين المدن المصرية خاصة أسواق الإسكندرية.

الطرق التجارية في مصر نوعين[٢]:

١. طرق بحرية.
٢. طرق برية.

(١) الطرق البحرية:

كانت هناك طرق بحرية كثيرة تتجول فيها السفن لنقل البضائع سواء من منتجات مصر أو الشرق أو أوروبا، ومن أهم هذه الطرق:

١ – طريق البحر الأحمر والأبيض إلى الفسطاط:

كانت ترد كميات كبيرة من التجارة الآتية عن طريق البحرين الأحمر والأبيض من الصين

---

(١) المقريزي: خطط، ج٣، ص١٥٧، عطية نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها – ص١٢٥، ابن دقماق:الانتصار – ج٤ص٣٩–٤٠

(٢) عطية نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٢٥–١٣٣ ؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد: السلطان منصور بن قلاوون، ص٩٦ ؛ المقريزي: خطط، ج٣، ص١٥٣ ؛ ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، نشر فولر، بولاق القاهرة، ١٣١٤هـ، ج٤، ص٤٠ ؛ جاستون فييت: القاهرة مدية الفن والتجارة، ترجمة د/ مصطفى العبادي، سلسلة مراكز الحضارة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٦٧ ؛ جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٤.

والهند واليمن وأوروبا إلى الفسطاط التي أصبحت مركزاً كبيراً لتلك التجارة وتصدر تلك البضائع إلى سائر البلاد المصرية خاصة مصر[١].

وكان من أثر قرب النيل من الفسطاط وكثرة المراكب التي تصل إليها محملة بالبضائع أن أصبحت هذه المدينة أكثر رواجاً لتلك البضائع.. وبناء على ذلك رخصت الأسعار يقول المقريزي[٢]: " ولا نجد ذلك الرخص في القاهرة وذلك لبعد ساحلها عن المدينة ".

ولا ننسى سيطرة المماليك على البحر الأحمر[٣] فإن ذلك سهل التجارة المارة من البحر الأحمر إلى مصر.

٢ – طريق من البحر الأحمر إلى عيذاب:

كانت منتجات الشرق تخرج من الصين والهند وسيلان واليمن وتسير بطريق البحر الأحمر وتمر بخليج عدن وتصل عيذاب حيث تفرغ المراكب ما عليها من البضائع. ثم تحمل القوافل البضائع إلى قوص ومن قوص تحمل في النيل فرع رشيد وتصل إلى الإسكندرية.

٣ – طريق دمياط إلى القاهرة[٤]:

لقد كانت دمياط أهم ميناء مصري على البحر الأبيض المتوسط ترسو السفن عندهم فكانت ترد التجارة من أوروبا إلى مصر عن طريق البحر الأبيض وتوضع في ميناء دمياط

---

(١) جاستون فيت: القاهرة مدينة الفن والتجارة – ص١٩٧، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٠٠

(٢) المقريزي: خطط، ج١، ٣٦٧ ؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص٢٦٣ ؛ محمد رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٤٠ ؛ أحمد محمد العبادي: التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص٢٤٣–٢٤٤.

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص٢٦٣.

(٤) نظراً لأهمية دمياط التاريخية والاقتصادية. انظر ابن الأثير، على بن أحمد بن الكرم: الكامل في التاريخ، ١٢ جزء. بولاق. القاهرة، ١٢٤٧هـ، ج٩، ص٣١٥ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٢٠١ ؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، نشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص٢١٠ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٣٥.

وكذلك البضائع التي ترد من الدلتا وفرع دمياط وفرع رشيد تجمع عند بلدة شيطانوف التي تبعد عن القاهرة نحو سبعة أميال ثم تحمل في السفن (المراكب النيلية) إلى القاهرة.

٤- طريق اسيوط الى السودان[١]:

هذا الطريق يمر بالواحات الى السودان متجها الى غانت وأورغشت

٥ - طريق الإسكندرية (ميناء الإسكندرية)[٢]:

كانت مدينة الإسكندرية من أكبر الموانى التجارية في عصر سلاطين المماليك. فالتجار الأوروبيين يقدمون إليها من مختلف مناطق أوروبا لنقل الخزف والقيشاني الصيني والزمرد الهندي وناب الفيل الحبشي ولؤلؤ الخليج الفارسي وما تحتاج إليه بلادهم من المنتجات المصرية كالبلح والأقمشة الحريرية والكتان وقد برعت مصر في هذه المصنوعات التي ذاع صيتها في أوروبا والشرق. يقول القلقشندي[٣]: " وإليها تهوى الركائب، كذلك التجار من الشرق الأقصى يأتون إليها ومعهم منتجاتهم من الفلفل والزنجبيل والبخور وأنواع العطور المختلفة ومنها تصدر إلى أنحاء مصر والقاهرة ".

من ذلك نلاحظ أن الإسكندرية لم تكن ميناء بحري فقط بل ازدهرت بأنها سوق تجاري كبير يأتيه التجار من كل أقطار العالم.

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية: مادة اسيوط -ج٢ص٢٠٢، شوقى حبيب: التجارة بين مصر وافريقيا - ص ٧٠

(٢) أحمد محمد العبادي: كتاب في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص٢٤٤ ؛ أحمد محمد العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص٢٤٠ ؛ محمد رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، ص٣١٢.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٤ ؛ بيبرس: زبدة الفكر، ج٩، ص٢٤٣ ؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٤٧.

٦ – طريق من سيلان إلى مصر[١]:

لم تكن السفن التجارية تعبر طريق البحر الأحمر فقط، بل كانت تخرج السفن أيضا من سيلان إلى الخليج الفارسي ومن ثم العراق فالشام، ومنها إلى مصر بناء على أمر ملك سيلان حتى لا يضطروا إلى المرور ببلاد اليمن.

٧ – طريق الشام إلى مصر:

وذلك عن طريق البحر المتوسط حيث يخرج الدماشقة محملين بالبضائع إلى الإسكندرية.

(٢)الطريق البري[٢]:

١ – طريق الجنادل إلى أسوان:

كان تجار النوبة يأتون إلى النيل عند الجنادل وتنقل تجارتهم على ظهور الجمال حتى يصلوا إلى أسوان التي كانت مركزاً هاماً للتجارة، ومنها تحمل البضائع والمنتجات إلى بلاد النوبة.

٢ – عيذاب الإسكندرية:

كانت منتجات الشرق الأقصى والأفريقية تصل إلى مصر من الصين والهند والحبشة عن طريق البحر الأحمر وتمر بخليج عدن إلى عيذاب ومنها تحمل البضائع على ظهور الإبل في الصحراء إلى قوص قاعدة مصر العليا ثم تواصل سيرها في الاتجاه الغربي إلى قرية العطف التي تقابل فوه ومن هذه القرية إلى الإسكندرية قبل حفر الترعة التي حفرها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٦٠هـ إلى الإسكندرية.

---

(١) عطية نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٢٥ ؛ محمد حمزة الحداد: السلطان منصور بن قلاوون، ص٦٩.

(٢) المقريزي: خطط، ج١، ص١٩٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٠٠ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٤.

ولم يكن طريق عيذاب تحمل منه البضائع إلى قوص طوال عهد قلاوون بل إن هذا الطريق أهمل بعد سنة ٧٦٠هـ وفقدت أهميته منذ ذلك الوقت[١].

٣ – طريق السويس إلى القاهرة:

كانت القوافل تنقل البضائع التي ترد من البحر الأحمر إلى السويس ومنها تنقل على ظهور الإبل (القوافل) إلى القاهرة[٢].

٤ – من الفسطاط إلى القاهرة:

حيث تضع المراكب البضائع الآتية من الشرق وأوروبا عن طريق البحر الأحمر والأبيض في الفسطاط ومن الفسطاط تنقل القوافل التجارية البضائع إلى كل أنحاء مصر خاصة القاهرة التي كانت تزخر بالأسواق التجارية، ومن الفسطاط نفسها أيضاً[٣]

الأسواق:

بعد أن تعرفنا على تجارة مصر الداخلية والخارجية وطرق نقلها، كان لابد لنا من ذكر أماكن تصريف هذا النشاط التجاري في الأسواق التجارية في عصر أسرة قلاوون خاصة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي كان أكثر اهتماماً بكل مرافق الدولة على الصعيد الداخلي والخارجي.

وكانت تمتاز الأسواق بأن كلاً منها ينفرد ببيع أنواع خاصة من المنتجات المحلية والبضائع المستوردة فهي تعج من سلع ومتاجر التجار وكان عددها كبير جداً فيذكر المقريزي

---

(١) المقريزي: خطط، ج١، ص١٠٢ ؛ آدم ميز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٢١ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٥.

(٢) المقريزي: خطط، ج١، ص٣٤٢، سعيد عاشور – العصر المماليكي، ص٣٠٠،سعيد عاشور – مصر في عصر دولة السماليك البحرية – ص٢٣

(٣) المقريزي: خطط، ج١، ص٣٦٧، قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٨٧، محمد جمال سرور – دولة بني قلاوون، ص٣٢٥. سعيد عاشور – العصر المماليكي، ص٣٠٠

قائلاً[١]: " وقد كان بمدينة مصر (الفسطاط) والقاهرة وظواهرها من الأسواق شيء كثير جداً قد باد أكثرها، ومما يدل على كثرة عددها أن الذي خرب من الأسواق فيما بين أراضي اللوق إلى باب البحر بالمقس إثنا وخمسون سوقاً أدركتها عامرة فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتاً، وهذه من جملة ظاهرة القاهرة الغربي فكيف ببقية الجهات الثلاث من القاهرة ومصر ".

وسمع المقريزي ممن أدركهم من المعمرين أن بشارع القصبة وهو أعظم أسواق مصر يمتد ما بين أول الحسينية والمشهد النفيس كان يوجد إثنا عشر ألف حانوت[٢].

وقد أدرك هذه المسافة عامرة بالحوانيت والآن وبعد أن بدأنا بالحديث عن الأسواق كان لابد لنا أن نتعرف على هذه الأسواق واختصاصاتها ومواقعها لما لها من أهمية في النشاط التجاري.

١ – سوق القصبة:

هو الشارع الأعظم الذي كان يعرف بقصبة القاهرة أو شارع القاهرة ويمتد من باب الفتوح إلى باب زويلة وهو أكبر شوارع القاهرة وأكثرها عمراناً بالحوانيت والخانات وأشدها ازدحاماً بالناس، وهو المعروف الآن بشارع المعز لدين الله الفاطمي ويدخل ضمنه جزء الفضاء العظيم الذي كان واقعاً بين القصرين الفاطميين وقد تضاءل هذا الفضاء بما أقيم على جوانبه من مساجد ومدارس وأضرحة ومبان أخرى في عهد الأيوبيين والمماليك، وكان يتفرع من شارع القصبة عدة أسواق ومن الأسواق المتفرعة منه[٣].

---

(١) المقريزي: خطط، ج٢، ص١٠٢ ؛ سعيد عاشور: الأيوبيين والمماليك، ص٢١٧ ؛ د/ محمود محمد الحريري: مصر ي العصور الوسطى، ص٢٨٧–٢٨٨ ؛ محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي، ج٧، ص١٥–١٧.

(٢) ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص٣٢ ؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٨٦.

(٣) ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص٣٢ ؛ المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٨ ؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٢٦ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٣.

٢ – سوق باب الفتوح:

وهو مختص لبيع المواد الغذائية وفي داخل باب الفتوح[١] حوانيت اللحامين والخضريين والفاميين والشرايحية وغيرهم. وهو أعظم أسواق القاهرة وأكثرها عمراناً، يقصده الأهالي لشراء أنواع اللحم الضأن والمعز، وأصناف الخضروات.

٣ – سوق يرجوان:

وهي حارة يرجوان[٢]، قريب من الجامع الحاكمي. ويكثر به بيع لحوم الضأن والبقر وكان به فوق ذلك كثير من حوانيت الزياتين والجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والعطارين والخضريين.

ويذكر أنه من أعظم أسواق القاهرة لوفرة الأطعمة المطبوخة والنيئة وأنواع المتاع المختلفة، وبه الحمامات والأفران، وكان فيه قباني برسم ووزن الأمتعة والمال والبضائع.

٤ – سوق البندقانيين:

كان به عدة حوانيت لبيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع الأجبان والألبان والبوارد والخبز والفواكه.

٥ – سوق القصرين:

وهو زاخر بأصناف المأكولات من اللحوم والحلويات والفاكهة وغيرها، وقد ذكر المقريزي: " أن الرطل من لحم الدجاج أو الأوز المطجن كان يباع بهذا السوق بدرهم، كما كانت تباع به العصافير المقلوة، كل أربعة وعشرين بدرهم ".

---

(١) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٢٧، المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٩، ٥.ابن أيبك الداوداري: الدرر ص١٢٣، سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٢٩٠– ٢٩١

(٢) أبن تغرى بردى: النجوم الزاهرة – ج ٩ ص ١٧٨، ابن ايبك: كنز الدرر – ج٩ ص ٢٨٨، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٣.

وقد فاقت شهرة سوق القصرين[١] عن غيره من الأسواق لكثرة ما به من البضائع وازدحامه بالأهلين الذين يفدون إليه لشراء ما يلزمهم من حاجيات المعيشة، وفي ذلك يقول المقريزي[٢]: " ولقد حدثني واجد ممن قدم مع قاضي القضاة عماد الدين أحمد الكركي أنه لما قدموا من الكرك سنة ٧٩٢هـ كادوا يذهلون عند مشاهدة سوق بين القصرين وقال لي أبنه محب الدين محمد: " أول ما شاهدت بين القصرين حسيت أن زقة أو جنازة كبيرة تمر من هناك، فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال المارة مجتمعين للمرور من هنا، فقيل لي هذا دأب البلد دائماً ".

٦ – سوق الزهومة:

ويسمى كذلك نسبة لباب الزهومة أحد أبواب القصر الفاطمي[٣]، كان هذا السوق موصوفاً بحسن ما يباع فيه من المأكولات وطيبها، وهو أجمل أسواق القاهرة وأفخرها.

٧ – سوق الدجاجين:

وكان يباع فيه الدجاج والأوز شيء كثير للغاية وفي كل جمعة يباع فيه أصناف القماري والهزازات والسنجار والبغاء والسمان، ومن السمان ما يبلغ ثمنه مئات الدراهم وكذلك بقية الطيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الألف درهم لتنافس الناس عليها وكثرة المعتنين بها، وكان يقال لهم غواة طيور المسموع عدا الطواشية فإنه كان يبلغ بهم الترف يقتنوا السمان

---

(١) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ص٢٢٤ ؛ محمد أمين أمين: وثائق وقف السلطان قلاوون على اليمارستان المنصوري، ص٣٢٦.

(٢) المقريزي: خطط، ج١، ص٩٣ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص١٨٤ ؛ قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص٤٣ ؛ د/ عبده علي: الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار نهضة الشرق، بيروت، سنة ٢٠٠١م، ج٣، ص٢٣٩ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٢٣ ؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ص٢٢٤-٢٢٥ ؛ مركز البحوث الاجتماعي، ط ١٩٩٨م.

(٣) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٦- ٩٧، محمد أمين – وثائق السلطان – ص ٣٢٧، د/ عبده علي: الشرق الأدنى – ج٣ ص٣٤٠، قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك ص٢٢٥

ويتأنقوا في أقفاصه حتى بلغ الطائر من السمان مرة بألف درهم فضية ومرة أخرى الخمسين دينار من الذهب[١].

٨ – سوق قيسارية:

يباع بقيسارية ابن ميسر الكبرى الأقمشة الكتانية والطرح، ويتردد عليها تجار يومي الأحد الأربعاء لشراء هذه الأوصاف[٢].

٩ – سوق الجملون:

كان بهذا السوق كثير من البزازين الذين يبيعون الثياب المنسوجة من الكتاب والقطن، وينادون فيه على الثياب بحراج جراج[٣]، وبه عدد من الخياطين والبابية الذين يقومون بغسل الثياب وصقلها (كيها).

١٠ – سوق أمير الجيوش:

" ويطلق عليها سويقة أمير الجيوش " كان بها عدد كبير من حوانيت الرفائيين والحياكين والرسامين والخياطين، ويباع بهذا السوق سائر الثياب المخيطة والأمتعة من الفرش ونحوها[٤].

---

(١) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٦–٩٧ ؛ قاسم عبده قاسم: تاريخ مصر الاجتماعي، ص٤٢، ٧– رمضان عبده علي: الشرق الأدنى القديم – ص٢٣٨

(٢) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٢، محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٩٢٢، ٨– زكي محمد حسن – الفنون الإسلامية– ص ٢٠١– ٢٧٤

(٣) حراج: كلمة يتعلق بها الباعة مرتين أو مرارا قبل أن يبيع بيعاً باتاً ما بيده، فالحراج إذن وقف البضاعة على الدلالة عند ثمن لا يزاد عليه. انظر الكرملي، ماري البغدادي: النقود العربية وعلم النميات، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٦٢ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٢٣ ؛ قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص٤٣ ؛ د/ رمضان عبدو علي: الشرق الأدنى القديم وحضارته، ص٢٣٩.

(٤) ميتز: الحضارة الاسلامية – ج٢ ص ٢٧١، المقريزي: خطط، ج١، ص٢٩٨، المقريزي: خطط، ج١، ص٢٢٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٢

١١ – سوق الفراء:

يعرف هذا السوق بسوق القرائين، ويسكن فيه صنّاع الفراء وتجاره، ولم يكن اقتناء الفراء شائعاً في عصر أسرة قلاوون وفي هذا السوق تباع أنواع الفراء كالسمور والوشق والعمائم والسنجاب[١].

١٢ – سوق الشرابيش:

نسبة إلى الشرابيش التي يعطيها السلطان لمن يؤمره من المماليك، وهي أغطية للرأس مثلثة الرأس يلبس بغير عمامة، وقد شاع استعمالها في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ثم حل محلها الكلوتات الجركسية، وكان لهذا السوق فريق من التجار يشتري التشاريف والخلع ثم يبيعها للسلطان والأمراء[٢].

واستجد الأمير رسلان في عهد السلطان الناصر محمد قلاوون القباء الذي يعرف بالسلاري.

١٣ – سوق الخلعيين:

بالقرب من باب زويله وهو الذي يتعاطى بيع الثياب الخلع، وهي التي لبست (المستعملة) وقد كان من أعمر أسواق القاهرة لكثرة ما يُباع فيها من ملابس أهل الدولة وغيرهم[٣].

---

(١) المقريزي: خطط، ج٢، ص١٠٣، قاسم عبده قاسم: تاريخ مصر ص٢٢٣، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون. ص٣٢٢

(٢) المقريزي: خطط، ج٢، ص٦٥ ؛ زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، نشر دار قسطنطينية ورزيق، نجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٤٢م، ج١، ص٢٧٤ ؛ قاسم عبده قاسم: دراسات من تاريخ مصر، ص٢٢٤.

(٣) الهوارى: وصف محتويات دار الاثار – ص٩٨

١٤ – سوق الأخفافيين:

وفيه يباع أخفاف النساء ونعالهن[١].

١٥ – سوق الكفتين:

ويشتمل على عدة حوانيت لعمل الكفت، وهو ما تطعم به أوني النحاس من الذهب والفضة ولا تخلو دار في مصر والقاهرة من عدة قطع نحاس مكفت، ولا بد أن يكون في جهاز العروس دكة النحاس[٢]. وكانت العروس من بنات الأمراء، والوزراء والأعيان يعمل لها سبع دكات[٣].

١٦– سوق الشماعين:

وهو سوق يباع فيه الشمع الذي تزداد به الحركة التجارية بصفة خاصة في شهر رمضان لكثرة ما يشترى من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دونها، والشمع الذي يحمل على العجل يبلغ وزن الواحدة منها قنطاراً "[٤].

وهذا السوق كان يزدهر في مواسم معينة إلا أن حوانيت هذا السوق تظل مفتوحة حتى منتصف الليل مما كان يغري الناس باتخاذها أماكن للنزهة.

١٧ – سوق المهاميز:

وهو معد لبيع المهاميز، وقد أدرك المقريزي الناس وهم يتخذون المهماز من الذهب

---

(١) الهوارى: وصف محتويات دار الاثار – ص٩٨

(٢) بالنسبة لوصف الدكة وتوابعها. انظر علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص١٤ ؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٢٥.

(٣) انظر علي حسن: مصر في العصور الوسطى، ص٥٦ ؛ زكي محمد حسن: أطلس الفنون، ص٢٠٠–٢٠١ ؛ شوقي عبد القوي عثمان حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا، ص٣٠١.

(٤) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٦ ؛ قاسم عبده قاسم: أسواق مصر عصر سلاطين المماليك، ١٩٩٨م، ص٢٢٥ ؛ زكي حسن: أطلس الفنون، ص٢٧٤ ؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٢٥.

الخالص وهؤلاء المترفون، وإلا فيتخذون القالب من الحديد ثم يطلى بالذهب أو الفضة. وكانت تباع بهذا السوق اليذلات الفضة التي كانت لجم الخيل وسلاسل الفضة والذهب[١].

١٨ – سوق السلاح:

ويقع فيما بين مدرسة الظاهر بيبرس وبين قصر بشتاك ويباع في هذا السوق لوازم الجنود من الأسلحة ومعدات الركوب وأدوات القتال وأيضاً القسى والنشاب والزرديات والسيوف والخناجر وغير ذلك من آلات السلاح[٢].

١٩ – سوق اللجمين:

وهو مجاور لسوق المهاميز وكان لهذا السوق حركة تجارية كبيرة في عصر أسرة قلاوون وأهمية خاصة وذلك لولع المماليك بركوب الخيل وحرصهم على اقتناء ما يلزمهم من اللجم الفاخرة[٣]. وبه تُباع اللجم وغيرها من المعدات الجلدية.

٢٠ – سوق القفيصات:

وهو تجاه شابيك القبة المنصورية، كان يجلس أناس على تخوت فوقها أقفاص صغار من حديد مشبك فيها طرائف من الخواتم والفصوص، وأساور النساء وخلاخلهن وغير ذلك[٤].

وهذه الأقفاص التي توضع على الأرض يأخذ أجرة أرضها المارستان المنصوري، وهؤلاء الباعة الجائلين يسمون أرباب المقاعد يجلسون دائماً أمام حوانيت، السلاح،

---

(١) ابن عبد الظاهر: سيرة السلطان قلاوون، ص٢٣، الهوارى – وصف محتويات دار الاثار – ص٦٦، المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٩٧

(٢) ابن عبد الظاهر: سيرة السلطان قلاوون، ص٢٢.، الهوارى – وصف محتويات دار الاثار – ص٦٦– ٦٨ – مطبعة الاعتماد – مصر ص١٩٢٦

(٣) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٧–٩٨ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٦–١٢٦ ؛ قاسم عبده: النيل والمجتمع المصري. ص٦١–٦٣ ؛ قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك، ص٢٢٥.

(٤) المقريزي: خطط، ج١، ص٩٧–٩٨، قاسم عبده: النيل والمجتمع المصري، ص٦٤

وحوانيت الصيارفة بالإضافة إلى السوق المخصص لهم وهو سوق القفصيات[١].

٢١ – سوق المحايرين:

وهو سوق فيه حوانيت لعمل المحاير – مفردة محارة – وهي التي يسافر فيها الحجاج إلى الحجاز وبيت المقدس وغيره وسوق الصاغة ما يزال مكانهم القديم إضافة إلى سوق الخراطين لبيع المهد الذي يُربى فيه الطفل[٢].

٢٢ – سوق الصناديق:

من الأسواق التي تباع بها حاجات الناس اليومية، وكانت تباع فيه الصناديق والخزائن والأسرة وغيرها من المصنوعات الخشبية التي تعد من ٢٣ – سوق الجوخ:

وهذا النوع من التجارة كان يستورد من أوروبا وتعمل منه ملابس الجنود ومستلزمات الحرب، وقد راج استخدامه نتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر[٣].

٢٤ – سوق العياطين:

يرجع هذا الاسم إلى أن ناصر الخاص السلطاني في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون طرح على تجار هذا السوق كمية من عسل القصب (أي أجبرهم على شرائها) وكانت الأسعار التي طلبها باهظة فوقف التجار في طريق موكب السلطان " وعيطوا " حتى أعفاهم السلطان وسمي ذلك السوق بهذا الاسم العياطين وهذه الكلمة في مصر بمعنى الصياح[٤].

---

(١) للاستزادة انظر ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص٣٢ ؛ المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٤ ؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٢٧.

(٢) سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٢٩٢. قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٢٥

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٢. ٨– زكي محمد حسن – الفنون الإسلامية – ص ٢٧٤؛ سعيد عاشور– العصر المماليكي، ص٢٩٠

(٤) المقريزي: خطط، ج١، ص١١٦ ؛ ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص١٤.

٢٥ – سوق الحلاويين:

وهـذا الـسوق كـان مخصـصاً لبيـع الحلـوى المـصنوعة مـن الـسكر، ويـذكر المقريـزي: " أن هـذه الحلـوى كانـت تـصنع علـى هيئـة حيوانـات سباع وقطـط، وكانـت هـذه التماثيـل الـسكرية تسمى العلاقة لأنها تعلق بخيوط على أبواب الحوانيت[١].

إضـافة إلـى ذلـك سـوق العـراقيين وسـوف اليهـود وسـوق البراغيـث وسـوق لحـاف وسـويقة معتـوق وغيرهـا مـن الأسـواق يقـول الـدكتور قاسـم عبـده: وبـالطبع لـم نقـصد إحـصاء هـذه الأسـواق إنما القصد التعرف على طبيعة أسواق مصر في ذلك الزمان)[٢].

هـذه هـي الأسـواق مجملـة التـي كانـت تبـاع فيهـا بـضائع التجـار سـواء مـن التجـارة الداخليـة أو التجـارة الخارجيـة حيـث أنهـا تـشتغل بالنـشاط والحيويـة والتبـادل التجـاري المـستمر وبطبيعـة الحـال هـي لا تمثـل كـل الأسـواق كمـا ذكـر الـدكتور قاسـم سـابقاً، إنمـا هـي أمثلـة علـى مدى التنوع في أنماط التجارة في هذه الأسواق.

إضـافة إلـى ذلـك نجـد أن مـصر قـد حفلـت بالمنـشآت الخاصـة بالتجـار الأتـراك واليمنيـين والفـرس والمغاربـة والـشاميين وغيـرهم، وجـرت العـادة أن التجـار المـسلمين الوافـدين مـن بلـد واحـد ينـزلون فـي وكالـة معينـة حيـث يلقـون بعـضهم بعـضاً فوكالـة قوصـون مثلاً كـان ينزلهـا التجـار الوافدين من الشام ببضائعهم مثل الزيت والصابون والفستق[٣].

هـذا وبعـد أن ذكرنـا بعـض الأسـواق فـي مـصر نجـد أن سـلاطين المماليـك لـم يتركوهـا

---

(١) قاسم عبده: النبيل والمجتمع المصري، ص٧١ ؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة. سنة ١٩٦٢م، ص٨٦

(٢) قاسم عبده: النبيل والمجتمع المصري، ص٧٢

(٣) ميتز: الحضارة الاسلامية – ج٢ ص ٢٧٣، المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٢ –٩٤، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٥، سعيد عاشور– العصر المماليكي، ص٣٠٨، سعيد عاشور: المجتمع المصري ص٣٠٨، محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص٣٠٤

دون رقيب أو حسيب بل كانوا يراقبون حركة البيع والشراء، وعهدوا بذلك إلى المحتسبين بالطواف ليلاً ونهاراً للتفتيش على الباعة وضبط من يحاول التلاعب في الأسعار أو الأوزان أو أصناف البضاعة[١].

وقد روعي في المحتسب دائماً أن يكون: " ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين " وكانت رقابة المحتسب أشد ما تكون على الأطعمة والمشروبات التي تباع في الأسواق والطرقات للتأكد من سلامتها ونظافتها حرصاً على صحة الناس، فإذا وجد بعضها فاسداً أخذ البائع بالشدة "[٢].

وكان المحتسب أيضاً يراقب التطفيف في المكاييل والموازين ويوقع العقاب على من تثبت إدانته. يقول المقريزي عند كلامه على سوق باب الزهومة: " أن متولي الحسبة بالقاهرة عبَّر على رجل بواردي بهذا السوق يقال له محمد بن خلف عنده مخزن فيه حمام وزرازير متغيرة الرائحة.. فأدبه وشهره.. "[٣].

هذا وقد قاوم السلطان الناصر الأثمان الباهظة التي كان يفرضها الباعة وقت الغلاء فجعل يضرب بالسواط باعة الدقيق والخبازين الذين يتغالون في البيع، كما أرغم الأمراء على فتح مخازنهم لسائر الشعب "[٤].

---

(١) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٦ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية. القاهرة. الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٦م، ص٣٠٨-٣٠٩ ؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص٢٠٤-٢٠٨ ؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٣٠٩ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٦ ؛ محمد طقوش: عصر المماليك، ص٢٩٧.

(٢) المقريزي: خطط، ج١، ص٨٨-٨٩ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٣ ؛.أبو المحاسن: النجوم الزاهرة. ج٥، ص٣٢٣ ؛ سعيد عاشور: عصر المماليك، ص٣٠٩ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون. ص٣٢٨.

(٣) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى- ج٣ ص ٤٤٣، المقريزى: إغاثة الأمة ص٣٩. محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٦. عزيز عطية: تاريخ المماليك – ص ٣٩٩، أبي إياس: بدائع الزهور ومواقع الدهور، ج٢، ص١٢٩

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ص٤٤ ؛ قاسم عبده: النيل والمجتمع، ص٣٥-٣٦.

أيضاً لقد حرص سلاطين المماليك الحفاظ على ممتلكات التجار وذلك بتلافي حدوث الحرائق بالأسواق التجارية[١] وعدم تعرض أرواح رعاياهم وأموالهم للدمار، لذلك عهدوا بذلك إلى صاحب العسس بالإشراف عليها فكان يجلس بعد صلاة العشاء كل ليلة بمحطة المطافي تجاه سوق الجملون الكبير بالقرب من حارة الجدرية بالغورية، وينصب أمامه مشعل يشتعل بالنار طوال الليل وحوله بعض أعوانه، وكثير من السقايين والنجارين وغيرهم من العمال خشية حدوث الحريق بالليل فيبادرون إلى إطفائه.

الخانات (الفنادق):

نظراً لتفاقم حركة النشاط التجاري وكثرة التجار الوافدين إلى مصر، كان لابد من بناء الخانات (الفنادق)[٢]. وهي أشبه بالأسواق الكبيرة، حيث أنهم يضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها، ولم يكن استخدام الفنادق مقصوراً على التجار الغرباء بل إن التجار المصريين وأصحاب رؤوس الأموال كانوا يودعون في بعض هذه الخانات صناديق أموالهم، وكأن هذه الفنادق أشبه بالبنوك في الوقت الحاضر. تفي بغرض السكن وحفظ المال والتجارة[٣].

وكان يعلوا الأسواق الفنادق أو الخانات رباع يسكنها الباعة والصناع. وتتكون هذه الرباع من عدة مساكن. تستأجر بأجور زهيدة، ومن بين تلك الرباع وكالة

---

(١) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ الدول والملوك، نشر د/ قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٤٨م، ج٧، ص١٩٨ ؛ زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص٣١٨ ؛ المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر الدكتور / جمال الدين الشيال، ومحمد مصطفى زيادة، القاهرة، ج٣، ص٣٦-٤٠ ؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) تطلق مكي مخازن أو خانات على الفنادق، وهو منشق من كلمة يونانية باندوكيون **Pandokeion** ويطلق عليها اليوم في مصر (بنسيون). دلال جبر: الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج٢، ص٣٢٧.

(٣) ابن شاهين: غرس الدين خليل الظاهرى – زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك – تحقيق راويس بولس: دار العرب للبستانى – بيروت ١٩٨٨ م وطبع فى باريس ١٨٩٤ م – ص ١٣٢

قوصون التي كانت تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتاً، ولم تكن وكالة قوصون[١] هي التي امتازت دون غيرها بما فوقها من رباع بل كان في أعلى فندق طرنطاي ووكالة باب الجوانية رباع كبيرة.

ومن أهم الخانات:

خان سرور:

وهو في الحقيقة خانين: أحدهما كبير والثاني صغير، وكان موضعه خزانة الورق إحدى خزائن القصر الفاطمي الكبير وكان قبل تشييده ساحة لبيع الرقيق وقد أدرك المقريزي[٢] هذا الخان: " وقال إنه في غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجارتهم ".

خان بلال المغيثي:

يقع فيما بين خط حمام خثيبة وحارة العدوية. أنشأه الأمير الطواشي حسام الدين بلال المغيثي خادم الصالح نجم الدين أيوب، وزاد في هذا الخان السلطان الناصر محمد قلاوون وفي هذا الخان كان التجار وأرباب الأموال يودعون صناديق الأموال المملوءة بالذهب والفضة ويذكر المقريزي[٣]فيقول: " كنت أدخل فيه فإذا بدائرة صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير لا يفصل عنها من الفندق غير مساحة قصيرة بوسطة. وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجل وصفه ".

---

(١) وكالة قوصون في درب الرشيدي وقد أمر الأمير جمال الدين محمود بن علي الاستادار بهدمها ٧٩٣هـ وبناها فندقاً وربعاً بأعلاه فلما كملت أمر السلطان أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام من البحر كالزيت والرب والدبس وما يرد في البر من أنواع التجارة. انظر د/محمد السلمي: المماليك في مصر والشام، ص٤١٥.

(٢) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٢.

(٣) المقريزي: خطط، ج٢، ص٩٢ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٤٢-٥٥.

خان منكورش:

أنشأه منكورش أحد مماليك السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو بالقرب من الجامع الأزهر، وعرف بعد ذلك بخان النشارين، وكان ينزل بهذا الخان الكثير من التجار المسلمين نظراً لقربه من الجامع لأداء الصلوات الخمس[١].

خان قوصون: (وكالة قوصون):

هذه الوكالة تدخل في عداد الفنادق والخانات، ينزلها التجار ببضائعهم خاصة تجار بلاد الشام وكانت بضائعهم تشتمل على الزيت والشرنج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك. وتقع فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء. وقد شهدها المقريزي ودهش لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين، ويعلو الوكالة رباع تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتاً عامرة بالسكان، ويقدر سكانها بنحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة صغير وكبير[٢].

خان التفاح (فندق التفاح):

وهو تجاه باب زويلة ترد إليه الفاكهة من كل نواحي القاهرة من التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية ومنها ينقل إلى سائر أسواق مصر والقاهرة أنشأ هذا الفندق طقوزدمر – وخارج هذا الدار عادة حوانيت لبيع الفاكهة وهي مسقوفة حتى لا يصل إليها حر الشمس[٣].

---

(١) ابن جبير: رحلة – ص٢٨٨، سعيد عاشور: الايوبيين والمماليك – ص١٥٢

(٢) محمد حمزة إسماعيل الحداد: السلطان منصور بن قلاوون، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٧٠٤ ؛ عطية نعيم زكي: طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب، ص١٢٥ ؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٦ ؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص٢٩٧.

(٣) محمد حمزة اسماعيل: السلطان منصور بن قلاوون – ص ٧٠٥، عطية زكي: طرق التجارة – ص١٢٦، عزيز عطية: تاريخ المماليك – ص ٤١٨، المقريزي: خطط، ج٢، ص٢٨ – ٢٩

خان الجوانية:

ويطلق عليه وكالة الجوانية – مكانها تجاه باب الجوانية من القاهرة بين درب الرشيد ووكالة قوصون. بناها الملك الظاهر برقوق. وكان يصل إليها كل ما يرد إلى القاهرة من البحر من بلاد الشام من أنواع التجارة وكذلك ما يرد في البر يدخل إلى هذا الفندق (الوكالة)[١].

خان الخليلي:

أنشاء الأمير جهاركس الخليلي وهو أمير خور السلطان الظاهر برقوق، في مكان تربة الخلفاء الفاطميين التي كانت تجاور القصر الشرقي، وتعرف باسم تربة الزعفرانة كان ينزل بهذا الخان التجار من الشام ومن أفريقيا والشرق، وقد أوقف هذا الخان وغيره من المباني على فقراء مكة. وجعل ريعها خبزاً يوزع عليهم ثم استبدل نقوداً[٢].

خان طرنطاي (فندق طرنطاي):

كان ينزل فيه تجار الزيت القادمين من الشام[٣].

خان أبي الثناء (فندق أبي الثناء):

في زقاق القناديل على مقربة من جامع عمرو بن العاص، وقد ذكر ابن جبير[٤]: " أن هذا الفندق (الخان) من المنشآت التجارية التي تجمع بين توفير مكان لعرض البضائع التي

---

(١) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص٢٩٨، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٢٦، عزيز عطية – تاريخ المماليك – ص ٤١٨– ٤١٩

(٢) المقريزي: خطط، ج١، ص١٩٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٣٠٠ ؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد: السلطان منصور بن قلاوون، ص٦٩ ؛ عطية نعيم زكي: طرق التجارة، ص١٢٥ ؛ محمد جمال سرور: دولة قلاوون، ص٣٢٤.

(٣) آدم ميز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٢٧، المقريزي: خطط، ج١، ص٩٢ – ٩٤

(٤) ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م، ص٧.، ابن شاهين – زبدة كشف الممالك – ص ١٢٢ وبعدها

يجلبها التجار الأجانب معهم، وتوفير أماكن النوم والإقامة في الطابق العلوي ".

هـذا وقـد كانـت هنـاك فنـادق مخصصة للتجـار الأوروبيـين تـضم كنيـسة صـغيرة وطاحونـا ومعـصرة للنبيـذ[١]، وقـد وجـد فـي الفـسطاط والقـاهرة عـدد مـن الفنـادق التـي خصـصت لهـذا الغرض وبعضها لعرض الفاكهة والخضر وكان المعاملات التجارية:

لقـد اختلفـت وسـائل المعـاملات التجاريـة فـي مـصر فكانـت هنـاك الحـوالات والنقـد والمقايضة والقروض وكل ظرف مرهون بوقته.

التداول نقداً:

وهـذا أمـر طبيعـي فـي التجـارة إذا تـوفر النقـد دفعـاً، والنقـد لـم يكـن متـداول فـي التجـارة الداخلية فقط بل أيضاً في التجارة الخارجية.

الحوالات:

وكـان مـن وسـائل المعـاملات التجاريـة فـي مـصر الحـوالات. وقـد شـاع اسـتعمالها فـي الدولـة الإسـلامية منـذ القـرن الرابـع الهجـري فكـان التجـار يأخـذون رقاعـاً مـن الـصرافيين بمـا لديهم من الأموال ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه على الصراف[٢].

وقـد لجـأ الـسلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون إلـى وسـيلة للـدفع تـشبه إلـى حـد كبيـر هـذا النـوع مـن التعامـل المـالي ممـا يثبـت شـيوع اسـتعماله فـي مـصر خاصـة فـي عهـد الـسلطان محمـد

---

(١) المقريزي: خطط، ج١، ص١٣٥ ؛ ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص٤٠ ؛ أيضاً انظر جاستون فيت: القاهرة مدينة الفن والتجارة. ترجمة: د/ مصطفى العبادي، سلسلة مراكز الحضارة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٦٧.انظر ايضا شوقى حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا وكيف أن فنادق الكارمية وفرت كل الوسائل للتجار الاوربين – ص ١٢٢ – ١٢٣

(٢) آدم ميز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٢١.

قلاوون الذي امتاز بازدهار التجارة وكثرة التبادل التجاري. ويحدثنا المقريزي[١]: " أن الناصر محمد بن قلاوون اشترى ٧١١هـ من تجار الفرنجة بمصر جواهر وغيرها من الحاجيات فبلغ ثمنها ستة عشر ألف دينار وأحالهم على كريم الدين أكرم عبد الله ناظر الخاص وحلفه ألا يؤخرهم عن ثلاثة أيام لاضطرارهم إلى السفر ".

نظام المقايضة[٢]:

وهو التعامل بأشياء مقابل شيء آخر بدل الفلوس عينية وكان أهالي مدن الصعيد وثغر الإسكندرية يتعاملون في المبيعات القليلة القيمة بأشياء بدل الفلوس وقد وصف المقريزي هذه الظاهرة التي شاهدها بنفسه فقال: " أدركت الناس من أهل الإسكندرية وهم يجعلون في مقابلة الخضرة والبقول ونحو ذلك كسر الخبز لشراء ما يراد دفعه " وكذلك أهل ريف مصر يشترون الكثير من الحوائج والمأكولات ببيض الدجاج ونخال الدقيق وردئ مشاق الكتان. ولم يقتصر نظام المقايضة على التجارة الداخلية بل استعمل على نطاق أوسع في التجارة الخارجية خاصة في القرن الخامس عشر الميلادي " فكان الحمل الاسكندارني من الفلفل يزن خمسمائة رطل فرفوري ويشترى نقداً أو مقايضة بسلع متعددة كالفضة وقوالب النحاس وسبائك القصدير والرصاص والصابون الأبيض والشمع والمصطكى[٣]".

كما أنه يقايض بمأكولات كثيرة كالزيت بأنواعه وعسل النحل وعسل السكر ولوز أبوليا وبرونسه والقسطل وبندق مملكة نابلي وفواكه أخرى. ويعطى أيضاً قنطار من هذه

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٢، ص١٣-١٤ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٤٢-٥٥ ؛ المقريزي: إغاثة الأمة، ص٦٩ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣١٨-٣١٩ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولتي قلاوون، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٢) المقريزي: إغاثة الأمة، ص٦٩ ؛ توفيق اسكندر: نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية، نشر مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٥٧م، ص٤٢.

(٣) توفيق اسكندر: نظام المقايضة، ص٤٣ ؛ جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٣٣ ؛ آدم ميز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٢١.

السلع مقابل الحمل الواحد من الفلفل[١].

القروض:

وقد كان هذا النوع من التداول التجاري موجود بالقاهرة بين التجار ومما يدل على ذلك أن تجار الكارم كانوا قد أقرضوا بعض تجار الفرنجة بعض من المال وكان لتجار الفرنجة حوالة من السلطان قلاوون إلى أكرم بن كريم الدين وفي يوم الاستلام وفد تجار الكارم الذين أقرضوا الفرنجة عشرين ألف دينار فطالبهم كريم بدفع المبلغ ودفعوه للكارمية[٢].

العملة:

قامت دولة المماليك في تجارتها على السياسة النقدية، والنقود التي يتعامل بها الناس في مصر والشام هي الدراهم الكاملية[٣]، التي أمر السلطان الكامل الأيوبي بضربها سنة ٦٢٢هـ وكانت نوعين:

الأول من الفضة النقرة وجعلها ثلاثة أثلاث: ثلثي الدرهم من فضة وثلثه من النحاس.

الثاني: دراهم الفلوس النحاسية وهي مصنوعة من النحاس.

وقد كثر استخدام النحاسية بعد الأزمة الاقتصادية التي حلت بالبلاد سنة ٦٣٠هـ والدراهم النحاسية لا يشتري بها شيء من الأمور الجليلة وإنما لنفقات البيوت وما تحتاج إليه من الخضر والبقول ونحوها[٤].

---

(١) المقريزى: إغاثة الأمة – ص٦٩، المقريزى: السلوك – ج٢ ص ٢٠٥، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٣٠

(٢) النويري: نهاية الأدب ج٣١ ص ٢١، آدم ميز: الحضارة الإسلامية – ج٢ ص٣٢١

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤ ؛ د/ عبد الرحمن فهمي محمد: النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٧٦ ؛ سعيد عاشور: العصر المملوكي، ص٣١٥-٣١٦.

(٤) المقريزي: إغاثة الأمة، ص٧٠.

ولما زالت الدولة الأيوبية، وانتقل الحكم إلى المماليك أقروا هذا النقد، حتى أمر السلطان الظاهر بيبرس بضرب دراهم جديدة عرفت باسم الدراهم الظاهرية نقش – رنكهُ عليها[١] – وهو صورة سبع.

ولم تزل الدراهم الكاملية الظاهرية تقوم بها المبيعات في مصر والشام في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى سنة ٧٨١هـ حيث ضربت الدراهم الحموية التي ضربها المماليك بحماة، وكثر تذمر الناس منها.

وكانت الفلوس كثيراً ما تزيف، ويتوقف حال الناس بسبب التعامل بها حدثنا المقريزي[٢]: " أنه في سنة ٧٢٠هـ خفف المزيفون وزنها حتى صارت زنة الفلس سدس الدرهم، وكان هذا النقد يتعامل به عدداً، فكل ثمانية وأربعين فلساً تساوي درهماً فضة هذا وقد ترتب على تلك الفلوس الزائفة زيادة الأسعار، كما أغلق الباعة حوانيتهم حين تقرر أن يكون التعامل بالفلوس وزناً، وهو أن يكون كل رطل منها بثلاث دراهم فضة ".

ولما علم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالأمر، وأن الناس ضجوا بالشكوى بسبب ما لحقهم من الفلوس ورد الباعة لها، وقلة الخبز وغيره.

لذلك قرر ضرب فلوس جديدة زنة الفلس منها درهم، وعلى أحد وجهيه عبارة: ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) وعلى الوجه الآخر ((اسم السلطان))[٣].

ولم يكن الناس في مصر يتعاملون فقط بالعملة النحاسية والدراهم الفضية، بل اتخذوا

---

(١) الرتك: معناه الشعار الذي يتخذه الأمير لنفسه عند تأمر السلطان له. زيادة في التفاصيل عن أنواع الرتوك انظر د/ عبد الرحمن فهمي: النقود، ص٧٦، وما بعدها ؛ كذلك القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦١-٦٢، المقريزى: السلوك – ج٤ ص ٧٤

(٢) انظر المقريزي: السلوك، ج٢، ص٢٠٥ ؛ النويري: نهاية، ج١، ص٢ ؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٤٠١ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٣٠.

(٣) عبد الرحمن فهمي: النقود العربية – ص٢٦، الكرملي: النقود العربية و علم النميات

الدنانير الذهبية كعملة جارية لهم، وكان يكتب على وجهها ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسله الله ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون)) وعلى الوجه الآخر اسم السلطان وتاريخ الضرب[١].

وقد ضربت الدنانير باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٠هـ وحذا حذوه خلفاؤه وكان في مصر ثلاثة دور لسك الفلوس والدراهم والدنانير[٢].

الأول: القاهرة.

والثانية: بالإسكندرية.

والثالثة: بقوص.

ويشرف على عيار الضرب بهذه الدور قاضي القضاة أو من يستخلفه وكان هناك لدور الضرب ديوان خاص، يحصّل منها رسوم للسلطان ((٣)).

هذا وقد أعترى الدنانير المماليكية نفس الخلل، لذلك لجأت البندقية لضرب عملة ذهبية تعرف باسم الأفرنتية أو الدوكات. وتمتاز بعيارها الصحيح ووزنها الثابت وسمكها المحدد مما جعلها تحوز على ثقة المتعاملين بها. [٤]

وهذه الدنانير مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك الذي ضربت زمانه وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس والحواريين الذين بعثهما المسيح عليه السلام إلى رومية ويعبر عنها بالأفرنتية [٥]

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٤٦٢.

(٢) المقريزي: خطط، ج١، ص١١٠، آدم ميتز: الحضارة الإسلامية – ج٢ ص٣٢١

(٣) استانلي لين بول: تاريخ مصر في القرون الوسطى، ج٢، ص٣١٧ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣١٦ ؛ عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص٢٦.

(٤) الأفرنيتة: جمع أفرنتي وأصله افرنسي من الفرنجة، ويطلق عليها أيضاً الدوقات وهذا الاسم لا يطلق إلا إذا كانت الدنانير تضرب بالبندقية ؛ لأن الملك اسمه عندهم دوك. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤١ ؛ عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص٢٦.

(٥) النويري: نهاية الأدب ج٢١ ص ٢، عبد الرحمن فهمي: النقود العربية – ص٢٧

وبالنسبة للدراهم الفضية أيضاً تعرضت للفساد ولذلك ضربت الدنانير الحموية في حماة مرة أخرى، وقد تذمر الناس من هذه الدنانير لزيادة نسبة النحاس فيها حتى بلغت الثلثين مما قلل الإقبال عليها وزاد استخدام الفلوس النحاسية

المكاييل والموازين:

لقد اتخذ المصريين عدة أوزان ومكاييل لتصريف تجارتهم سواء بالجملة أو التجزئة ومن أهم تلك الموازين.

١ – الرطل:

كانت أسواق مصر تستخدم الرطل في موازينها ويدل على ذلك ما ذكره المقريزي: " أن الرطل من لحم الدجاج والأوز المطجن، كان يباع بسوق القصرين بدرهم " [١].

٢ – القنطار:

كذلك استخدم القنطار في الموازين فيقال أن الشمع كانت تزداد عليه الحركة التجارية خاصة في شهر رمضان وكانت الشموع الموكبية تزن الواحدة عشرة أرطال. والشمع الذي يحمل على العجل يبلغ وزن الواحدة منها قنطاراً.

والمعادن أيضاً كانت تباع بالقنطار – فقد كانت حكومة المماليك حريصة على استخراج المعادن من الأراضي المصرية مثل الشب والنطرون، واحتكرها الديوان السلطاني، ويباع لتجار الروم أثنى عشر ألف قنطار بسعر يتراوح بين أربعة إلى ستة دنانير لكل قنطار.

٣ – المثقال:

كذلك استخدم المماليك في وزن الذهب المثقال في بيع وضرب النقود الذهبية وقد أشار إلى ذلك القلقشندي العبرة في وزن الدنانير بالمثاقيل[٢]

---

[١] المقريزي:خطط، ج٢، ص٩٦، محمد جمال سرور: دولة قلاوون، ص٣٢٥.

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٣ ؛ عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص٢٦.

القراريط:

واستخدم القيراط في الوزن. وكان وزن الذهب والفضة بالقيراط وقد وصف القلقشندي العملة فقال: " إنها معلومة الأوزان كل دينار منها يعتبر بتسعة عشر قيراطاً ونصف القيراط من المصري "[١]

المكاييل:

أما المكاييل فكان يستخدم في مصر الكيلة والإردب [٢]

١ – الكيلة:

كانت تستخدم لكيل الحب والأرز والفول وغيرها من البقول ويقال أن محصول الغلال كان يرد إلى ساحل القاهرة حيث يباع بالكيلة في سوق بولاق"[٣]".

٢ – الإردب:

أيضاً استخدم المماليك في مصر لوزن الغلال الإردب. وقد ورد ذلك في أن القمح لم يكن سعره ثابتاً في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد بلغ ثمن الإردب خمسة وثلاثين درهماً ثم انخفض في عهد السلطان الناصر أيضاً ثم ارتفع ثمنه حين وقع الغلاء بمصر سنة ٧٣٦هـ فوصل ثمن الإردب سبعين درهماً وكانت تقاس الاراضى الزراعية بالفدان الجيشى (وهو أكبر من الفدان المعروف لدينا) [٤]

****

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤١ ؛ عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص٢٦ ، ستانلي يوب: تاريخ مصر في القرون الوسطى ، ج٢ ، ص ٣١٧.

[٢] القلقشندي ، ج٢ ، ص ٣١٧

[٣] انظر ما جاء بهذا الصدد القلقشندى – صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٦، المقريزي: خطط، ج٢ ص ٢٠١. انظر ايضا عزيز عطية – تاريخ المماليك ص٤١٤ فيه تفصيل الجيشى

[٤] المقريزي : خطط ، ج١ ، ص٨٨-٨٩ ، ج٢ ص ١٣٠

المكوس:

الرسوم الجمركية – الضريبة – الجزازات[١].

١ – الرسوم الجمركية:

بعد أن ازدهرت التجارة في مصر في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وزادت ثروتها بسبب التبادل التجاري بينها وبين آسيا وأفريقيا وأوروبا وما ترتب على ذلك من مرور السفن ببضائع الشرق والغرب بثغورها، لذلك فرضت الرسوم الجمركية عند وصول السلع إلى السويس ودمياط والإسكندرية، وعند إقلاعها من هذه الثغور[٢]

الضريبة:

وهي تفرض على المتجر، وكانت تفرض على متاجر الأجانب ضريبة تساوي خمس بضائعهم ويشرف على جبايتها ديوان الخمس – وقد عرف المقريزي هذه الضريبة بقوله[٣]: " فالخمس ما يستأدي من تجار الروم الواردين في البحر عما معهم من البضائع للمتجر بمقتضى ما صولحوا عليه، وربما يستخرج منهم ما قيمته مائة دينار " ما يناهز خمسة وثلاثين ديناراً، وربما انحط عن عشرين ديناراً ويسمى خمساً، وذلك أيضاً قول القلقشندي من ذلك يتضح أن الرسوم الجمركية والضريبة المفروضة على المتاجر التي يستوردها الأجانب لم تكن ثابتة بل ربما ارتفعت وانخفضت حسب الحالة الاقتصادية في الدولة[٤].

---

(١) المقريزي: خطط، ج١، ص١٧٥،ابن شاهين: زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ – ١٠٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٦٢، سعيد عاشور: المجتمع المصري –ص ٢٤ –٢٦، ١٠– شوقي حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا – ص ١٢٢ – ١٢٣

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٦٠. محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٤٦

(٣) المقريزي: ج٢ص ١٠٢، القلقشندي: ج٢ ص ٤٥٩،

(٤) النويري: نهاية الأدب ج٢١ ص ٢٨، ٩.ابن جبير: رحلة ابن جبير – ص ٨٠٧، ١١–صبحي لبيب: التجارة الكارمية وتجارة مصر في عصور الوسطى – القاهرة ١٩٥٢ م – ص ١٢٤ – ١٢٥

٣ – الجوازات:

كان في مصر منذ أقدم العصور الإسلامية نظام دقيق لجوازات المرور. فلم يكن أحد يستطيع أن يترك الناحية التي يقيم فيها إلى ناحية أخرى بدون إذن ولي الأمر، فيعطي المسافر جواز للخروج من مصر يدرج فيه أسماء كل من يرافقونه ولو كانوا عبيداً "[١].

وقد ظل هذا النظام سائداً في مصر حتى آل الحكم إلى المماليك فعني السلطان الملك المنصور قلاوون ومن بعده ابنه الناصر بإصدار جوازات سفر كفلت للتجار الطمأنينة في أنحاء بلاده، بل في أسفارهم إلى الهند والصين[٢].

وكان التجار الأجانب الذين يفدون إلى مصر تسجل أسماؤهم في المكاتب التجارية وقنصلياتهم وتسجيل أيضاً جوازات سفرهم. حتى يكون ذلك أضمن لهم في حالة ضياع الجواز وقد أعتبر السلطان أولئك القناصل مسئولين عن رعاياهم أمام الحكومة المصرية وكانت تفرض حكومة المماليك رسوماً على تلك الجوازات، وهو ما يعرف اليوم برسوم الإقامة[٣].

وهكذا نجد أن مصر تمتعت في عهد أسرة قلاوون خاصة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمركز ممتاز بين دول العالم الشرقي والغربي من الناحية السياسية والاقتصادية وذلك بسبب اهتمام الناصر بالتجارة الداخلية والخارجية وانتعاش الاقتصاد وتوطيد دعائم الاتصال الخارجي بالدول الأخرى، مما مهد لها أن تكون دولة ذات استقلال سياسي واقتصادي.

والله ولي التوفيق،،،

---

(١) آدم ميتز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٦٠ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٠.

(٢) آدم ميتز – الحضارة الإسلامية – ج٢ ص٣٦١، جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٤٣

(٣) جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٣٤٣

مراجع ومصادر البحث

١- أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة ١٩٩٥م.

٢- أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، بيروت، ١٩٨٦م.

٣- .....: كتاب في التاريخ الأيوبي المملوكي.

٤- توفيق اسكندر: نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية، ينشر مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٥٧م.

٥- جاستون فييت: القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة: مصطفى العبادي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٦- حمزة إسماعيل الحداد: السلطان منصور قلاوون، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٧- رمضان عبده علي: الشرق الأدنى القديم وحضارات، دار نهضة الشرق، بيروت.

٨- زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتضاريس الإسلامية – دار الرائد العربى – لبنان – بيروت ١٩٨١ م

٩- ستانلي لين بول: تاريخ مصر في القرون الوسطى، جزأين. ١٩٠١م

١٠- شوقي عبد القوي عثمان حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا في عهد سلاطين المماليك. – القاهرة ٢٠١٠ م

١١- صبحى لبيب – التجارة الكارمية وتجارة مصر فى عصور الوسطى – القاهرة ١٩٥٢م

١٢- عبد الفتاح عاشور: الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٣- .....: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.

١٤- .....: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٥- .....: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

١٦- عزيز سوربال عطية – تاريخ المماليك – الطبعة الثالثة – القاهرة

١٧- عبد الرحمن فهمي محمد: النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٨- عبد الله بن أبيك الدوادار: كنز الدرر وجامع الغرر، المعهد الألماني للآثار الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١م.

١٩- عطية نعيم رزق: طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب.

٢٠- علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٥٤م.

٢١- .....: مصر في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٥٤م.

٢٢- قاسم عبده قاسم: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك – الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١١م

٢٣- .....: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.

٢٤- .....: عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، نشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، القاهرة، طبعة ١٩٤٧م.

٢٥- الكارمية وتجار الكارم في عصر المماليك، نشر مجلة الفكر العربي، عدد ٥٤، كانون الأول، بيروت، سنة ١٩٨٨م.

٢٦- محمد رزق سليم: سلاطين المماليك مكتبة الآداب لبنان – الطبعة الثانية – ١٩٦٢م

٢٧- محمد محمد أمين: وثائق موقف السلطان قلاوون على اليماستان المنصورى – مركز تحقيق التراث – القاهرة ١٩٧٧م.

٢٨- محمد جمال الدين الشيال: دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي ١٩٦٧م

٢٩- محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي، ج٧ – دمشق ١٩٩٥م

المصادر:

١. ابن الأثير، علي بن أحمد بن الكرم: الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، القاهرة، بولاق، ١٢٧٤هـ.

٢. ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي: معالم القربة في أحكام الحسبة، كمبردج، ١٩٣٧م.

٣. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ الدول والملوك، ط٧، نشر دقسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٤٢م.

٤. ابن إياس، أبو البركات أحمد بن محمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

٥. ابن أيبك الداوداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك الداوداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الظاهر، نشر هانس روبرت وريمر، القاهرة.

٦. ابن أيبك الداوداري – الامير ركن الدين بيبرس الدواداري – زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة – تحقيق دونالد س ريتشادز الشركة المتحدة للتوزيع – لبنان – بيروت – ١٩٩٨ م – ١٤١٩هـ

٧. ابن بطوطة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي: رحلة ابن بطوطة – تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار – دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٨. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الحياة المصرية الملك المؤيد، عماد الدين إسماعيل، القاهرة، ١٩٦٨م.

٩. ابن جبير: رحلة ابن جبير، بغداد، ١٣٥٦هـ.

١٠. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤ أجزاء، الهند، ١٩٢٩م.

١١. ابن شاهين – غرس الدين خليل الظاهرى – زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك – تحقيق راويس بولى – دار العرب للبستانى – بيروت ١٩٨٨ م وطبع فى باريس ١٨٩٤م

١٢. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٣٢٥هـ/١٩٢٥م.

١٣. بدر الدين العيني، بدر الدين محمود العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: د. محمد محمد أمين، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٤. .....: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم شلتوت، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٥. خالد بن عيسى المغربى: رحلته المسماة تاج المفرق في تحلية تجار المشرق – نشر – مكتبة الوراق – لبنان ٢٠٠٧م

١٦. بيرس الدوادار المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، جمعية المستشرقين الألمانية، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م.

١٧. السخاوي، شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمن: التبر المسبوك في ذيل السلوك، مصر، بولاق، ١٣١٥هـ.

١٨. سرية عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م.

١٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد: حسن المحاضرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، جزءان، القاهرة ١٣٢٧هـ

٢٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان – ١٩٨٧م

٢١. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: إغاثة الأمة في كشف الغمة، نشر الدكتور جمال الدين الشيال، ومحمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٨م.

٢٢. .....: السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيات، القاهرة ١٩٥٦م

٢٣. .....: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، القاهرة سنة ١٢٧٠هـ.

٢٤. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب الملكية، القاهرة ١٩٨٢

٢٥. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي: معجم البلدان، ١٢ جزء، القاهرة، ١٩٠٦م.

٢٦. الهوارى – حسن محمد – رسالة فى محتويات دار الاثار العربية – مطبعة الاعتماد – مصر ١٩٢٦م

٢٧. ماكس هيرز – لمعة فى تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية عصر – القاهرة ١٩٣٠م